انقلب من الدفاع إلى الهجوم، وقال لهم مستجمعًا سكينته واعتداده: تترقبون ألوف الجنيهات! تريدون أن تكسبوا ... وهل أنتم وجه مكسب، الله لا يكسبكم؟! إنني تعمدتُّ أن أجيئكم بالأرقام، واكتفيتُ بما أذكر من أرقام الأستاذ همام وأرقامي ولم أحفل بما عدا ذلك! وهل كنتم من البلاهة والغفلة حيث تحسبون أنني أراجع لكم أرقامكم ومكاسبكم لأكسب منكم هذا الهراء الذي لا تفلحون في غيره؟!

ويلاحظ أنه لَمْ يختلق هذه المعذرة إلا بعد ما حصل الصحاب على الكشف وراجعوا الأرقام ويئسوا جميعًا من الأرباح، ولم يختلقها قبل ذلك مخافة أن يكذِّبه الواقع عند مراجعة الكشف فيسقط في يديه.

إلا أنهم لَمْ يتركوه ينعم بأكذوبته المهلهلة التي ساقه إليها الحرج والنكاية والمزاح وراحوا يقولون له بعدما أوسعوه سخرًا وأشبعوه هذرًا: يا مكابر! أتذكر سبعين نمرة بين كبيرة وصغيرة قرأتها منذ أيام ولا تذكر نمرًا أربعًا قرأتها منذ دقائق؟! طيب ... ها نحن أولًا معك، أعد علينا النمر الأربع ولك عن كل واحدة جنيه!

فحار وأبلس، ابتأس وعبس، وألقى يد السلم واستسلم، وزادت تجعيدة حديثة إلى جانب كل تجعيدة قديمة في ذلك الوجه المشدوه.

تلك نماذج غير منتقاة من سهوات السيد أمين حديثها وقديمها، نضعها إلى جانب إخلاصه واستقامة طبعه فنفهم المركب الذي ركبه همام من تفويض الرقابة إليه، وأصدق ما يوصف به أنه كالسفينة التي لها شق متين يكافح الأمواج والرياح، وشق هزيل محلول الدسر والألواح، ولا مناص من السفر عليها، ولا أمان في البقاء على الساحل.

فأما الرقابة فلا حيلة غيرها.

وأما الرقيب فغير أمين لا يوجد.

وكل ما يملك همام من اختبارٍ فهو الإكثار من التوصية والإلحاف في التحذير والمعاودة بالتنبيه، وقد فعل جهده ثم أغمض عينه، وآوى إلى السفينة وهو يترقب الغور كما يترقب ساحل النجاة.